آمال الانسانية *

فى تعاون الدول لرفع المستوى الصحى

لمعالى الأستاذ ابراهيم عبد الهادى وزير الصحة

" لقد خطت الحياة الدولية فى العهد الأخير خطوات أقرب الى اعتبار التعاون الانسانى فى الشؤون الصحية عن ذى قبل ... ومن هذه النقطة يستطيع الباحث أن يستأنف أمله فيما عسى أن تصل اليه الانسانية فى شؤونها الصحية عن طريق التنظيم الدولى المرتقب .

فقد طرأ على المواصلات وسيطرأ عليها تغيير كبير بالدور المهم الذى لعبه الطيران خلال الحرب الحالية والذى ينتظر أن يلعبه فى مستقبل أيام السلم ، إذا تصورنا هذا الدور بدت التحوطات الحالية عاجزة الى حد كبير عن الاحتفاظ بدرجة التأمين الصحى التى بلغتها الأمم بقواعد الحجر الصحى الحاضرة ... وإذا كان مقررا أن أدوار المدنية والحضارة العالمية يجب ألا يسد عليها الطريق ببعض التضحيات التى تتعرض لها الأمم، فمن العدالة أن تساهم البلاد التى تستفيد من هذه المخترعات الفوائد المادية الكبرى مساهمة حقيقية فى دفع التضحيات اللازمة لسير الحضارة حتى لا تترك الشعوب الفقيرة تئن تحت أعبائها مخيرة بين أن تعرض شعوبها للكوارث الصحية ، أو تعرض مرافقها للحرمان والفقر .

إن التضحيات التى تتحملها الدول الصغيرة فتعجزها أو تحد من خطاها فى سبيل حياة شعوبها الصحية والاقتصادية ، بينما هى فى نفس الوقت خط من خطوط الدفاع الصحى عن المدنيات الغربية الفتية النادرة ، يصح لمؤمل أن يرى التنظيم الدولى الحديث متجها الى وضع حل لها على قاعدة عادلة يكون فيه الغنم بالغرم ، إذ أى إصلاح يرجى للمجتمع الانسانى إذا كانت الأمم الصغيرة تحمل كل يوم عبئا جديدا ومغرما جديدا من مغارم المدنية يزيدها أعباءا على أعباء وفقرا على فقر ؟! ليس لهذا على الشعوب الفقيرة من أثر إلا جوع ومرض وفقر، وليس له من شأن على الدول الصناعية الكبرى إلا كساد فى صناعتها لضعف الجماعات الانسانية التى يتكون منها عملاء هذه الشعوب المنتجة !!

أتصور أن التفكير الدولى يتطور إلى دفع مثل هذه الأعباء عن كاهل الدول الصغيرة والشعوب الفقيرة ليعينها على مواجهة مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية والصحية ، وليمهد لنفسه أسواقا أكثر قدرة على شراء منتجاته ، ويذكى هذا الأمل ويقربه الى النفس هذا النداء الذى يتردد فى جوانب المعمورة لكفالة الأمن وتدعيم السلام ، ولا شك أن أقوى كفالات السلام والأمن هو راحة الشعوب المختلفة الى حظها من الحياة ، وليس أدعى إلى اضطرابه من قنوط الجماعات الصغيرة أو الكبيرة ويأسها من التخلص من كوارث

* من محاضرة قيمة ألقاها معاليه فى القاعة الشرقية بجامعة الأمريكية .

أمراضها وفقرها و بؤسها وشعورها بأنها فى مضطرب المجتمع العالمى ليست اكثر من وقود يحترق ليهيئ الدفء للشعوب القادرة الغنية العالية .

ولقد أدرك العلم توفيقا كبيرا فى كشف الكثير من وسائط علاج الأمراض الجائحة ، ولكن هذه المكتشفات العلمية من العقاقير الطبية والنقاحات والأمصال قد استولت عليها يد الاحتكار والاستغلال ، و بالغت فى أسعارها مبالغة أعجزت الكثير من الطبقات الفقيرة فى الشعوب الفقيرة عن الانتفاع بها والوصول اليها ، وكم من نسمات ومن أرواح بشرية ذهبت عاجزة عن العلاج وهى تراه أمامها ، ولو أن هذه الأيدى المسيطرة على إنتاج تلك المواد خففت من غلوائها فى الاستغلال ونزلت إلى مقام معتدل من الربح لدفعت كوارث عن أفراد وأسر ، لانطمع أن ينتج الناس وأن يعطوا كل ما أنتجوا رحمة منهم وإحسانا ، فذلك مقام لم تقرب البشرية منه بعد ، ولكن لعل الفلك قد دار دورته فأقنع الكثيرين بأن الأسعار المعتدلة خاصة فى هذه المواد الصحية تدرك غايتين : غاية تمكن الفقير حكومة أو أفرادا من الانتفاع بهذه المواد فى خدمة الصحة الانسانية ، والغاية الأخرى سعة دائرة انتشارها بسهولة التمكن منها ، وفى ذلك ما يعوض الربح المقدر للتوزيع القليل بالثمن الكبير بل ربما أربى عليه . إنى أقدر أن الحكومات وأعنى حكومات البلاد المنتجة لهذه الأنواع من مواد العلاج سوف تعلن رقابتها على الأفراد والشركات المنتجة لهذه المواد وتوجهها الى هذه الناحية حتى تصل منتجاتها الى كافة ارجاء العالم بأسعار معتدلة يطيقها الفقير كما يطيقها القادر .

ها نحن أولاء نرى المجموعة الدولية تتأدب منذ الآن للقاء واجبها الانسانى نحو تعمير البلاد التى خربتها آلة الحرب استبدرا كما لشعوبها من مآسى التشريد والعوز والمرض ، و إذا كانت الدول قد تحركت مثل هذه الحركة تجاه البلاد البلقانية إثر الحرب الماضية ، فلعل المجموعة الدولية تستمر بعد ذلك فى مجهودها المشترك تجاه انقاذ الشعوب الفقيرة من آلامها الدائمة الماثلة ، فتكون يدها رحمة عامة تغمر من كان ألمه و بؤسه نتيجة لحرب أو نتيجة لفقر

وليس كل الأمر فى المشكلة الصحية امر دواء ، و إنما يقوم الى جانب ذلك وفى مرتبة من الاعتبار لاتقل عنه ، أمر تغذية الشعوب وما ينبغى ، بل ما أتوقع أن تسير نحوه جهود الأمم قاطبة من إخراج مواد الغذاء الأساسية من نطاق الاستغلال والاحتكار المؤدى إلى رفع قيمتها رفعا يعجز الفقير عن استيفاء حاجاته منها ، بل أتوقع فوق ذلك عملا جديا صادقا على الاستكثار منها وتنظيم تبادلها ، فلا يبعد نوع ضرورى منها عن يد طالب فى بلد إنتاج أو فى بلد احتياج .

أتوقع أن يقضى النظام الدولى قضاء تاما على الوسائل القديمة التى بلغت حد إعدام المواد الغذائية لرفع قيمتها فى الأسواق ، وكل هذا الأمل سمحت لنفسى بتقبله وتوقعه بقدر ماصدقت لدى صرخة العالم فى طلب السلم وضمانه .. ".